القطيعة تتسع، من مستعد منكم للمراجعة

كرم نعمة
كاتب عراقي
مقيم في لندن

يعترف كاتب من جيل الستينات نشر لحد الآن أكثر من ثلاثين كتابا، بأنه مازال يكتب بالقلم على الورق. قد يبدو الأمر طبيعيا عندما يعبر عن الرغبة الشخصية والاستنجاد بالإلهام في فكرة الكتابة نفسها، لكنه يصبح تعبيرا عن قطيعة شاسعة عندما يعترف هذا الكاتب أيضا بأنه لم يفكر أبدا أو يحاول استخدام الكمبيوتر في الكتابة!

كل ذلك جعله يعيش عزلة معاصرة مع نفسه وقطيعة مريعة مع المنتج الإبداعي والسياسي المعاصر، فلا تكفي القراءة التقليدية للتواصل والاطلاع على أفكار الآخر. هناك ما هو عاجل في الحياة التكنولوجية. غير أن هذا الكاتب مازال يعيش عالمه الورقي الذي بناه على خطه الجميل في الكتابة والاستنساخ الإلكتروني لصفحات يخطها بيده.

روائية من نفس جيل الكاتب الستيني وبعد ثلاثين عاما من العيش في فرنسا، تعترف بأنها لم تتعلم من الفرنسية غير ما يساعدها للتفاهم مع احتياجاتها في السوق ومراجعة بلدية منطقتها.

قد يكون هذان المثالان معبّرين عن فكرة القطيعة التقليدية مع العالم المعاصر، لأنهما يعبران عن صناعة الأفكار والإبداع معا. لكن هناك ما يخيف في السؤال عندما نكتشف هوة القطيعة الشاسعة التي يمثلها النموذجان اللذان اخترتهما للدفاع عن فكرة هذا المقال، مع الأجيال الأصغر منهما.

إنهما أبعد من أن يكونا مقربين لفهم ما يفكر به أحفادهما، لكن من منهما مستعد لفكرة المراجعة في الأساس؟

اليوم تركز المناقشات في مراكز الدراسات الدولية، وهي الأكثر إثارة للجدل، حول ما إذا كنا كأفراد وكدولة على استعداد للمراجعة وسد الهوة العميقة التي تتسع بين الأجيال. فلا يكفي النقاش المشحون بالعاطفة التي توفرها الوسائل الرقمية للخروج بنتائج مفيدة.

إذا كان الأمر متعلقا بالسياسيين في العالم العربي فهناك القليل منهم من اقترح نموذجا للمراجعة وحتى الذين عرضوها على شعوبهم فقد كانوا في لحظة ضعف سياسي عندما اختاروا المراجعة وسيلة لإنقاذ أنفسهم

من الأهمية بمكان تأمل تلك الهوة المخيفة، عند مراجعة فهمنا للتاريخ، وطبيعة اللغة التي نستخدمها!

كان واحد من أردأ الأدوار التي أداها ممثل عراقي في مسلسل عرض مؤخرا عن طبيعة الحياة في بيروت إبان عقد الستينات من القرن الماضي، وهو يتكلم بلهجة لا تمت بأي صلة إلى ذلك الوقت، بل استخدم مفردات لم تكن سائدة ومستخدمة مطلقا في الزمن الذي كانت أحداث المسلسل تعالجه! القطيعة هنا مشتركة في كادر إنتاج هذا العمل التلفزيوني. وهذا سبب كاف يدفعنا لمراجعة طبيعة هوياتنا الشخصية والوطنية، ومراجعة كيفية تصرفنا في علاقاتنا اليومية.

كم تبدو المراجعة ضرورية هنا، لكن هذا لا يعني أنها سهلة. يتطلب الأمر إجراء تغييرات جوهرية على الطريقة التي نفكر ونتحدث ونتصرف بها، في واقع جديد يقودنا إلى التدقيق الذاتي، بيد أن ذلك يتطلب التضحية بالراحة الذهنية التي يفضل الكثير منا الاسترخاء في كنفها. فمثل تلك الراحة لا تصنع الأفكار الملهمة ولا تفتح الباب أمام التغيرات الوجودية للمجتمعات.

إذا كان الأمر متعلقا بالسياسيين في العالم العربي، فهناك القليل منهم من فكر أو اقترح نموذجا للمراجعة، وحتى الذين عرضوها على شعوبهم، فقد كانوا تحت التهديد أو في لحظة ضعف سياسي عندما اختاروا المراجعة المتأخرة كوسيلة لإنقاذ حكمهم من السقوط.

إن المراجعة لا تكتفي بكونها طريقا مثاليا لوضع الأمور في نصابها بالنسبة إلى اتساق المجتمعات واستقرار البلدان في عمل مستمر من أجل التغيير نحو الأفضل، بل هي أيضا عمل أخلاقي، وحتى روحي يكشف عن المساحة المسؤولة في الإنسان بوصفه محبا ورافضا للكراهية والانقسام.

يدرك غالبيتنا أن الرغبة في تصنيف أنفسنا لا تتراجع مع تقدم العمر، لكن المشكلة تكمن في القبول بفكرة المراجعة. ومثال الكاتبين في مقدمة هذا المقال يقودنا إما إلى العجز في طريقة الإحساس بالزمن المتغير بالنسبة إليهما، أو رفض فكرة المراجعة بالأساس واعتبار الجمود بمثابة مبدأ لا يمكن التراجع عنه، تحت ذريعة الأصالة والخبرة والتراكم.

ذلك يكشف لنا صورة الهوة بين الأجيال على حقيقتها. فجيل الألفية ليس كما تصوره الفكرة السائدة عند الأكبر سنا، أنه مجرد شكل مستنسخ عن بعضه، خاضع، متأثر بالتلفزيون وتقوده الأجهزة الرقمية.

بدليل أن هذا الجيل الجديد يصنع أفكاره اليوم الناجحة وبشروطه الخاصة، وهو من يعيّن أفرادا من أجيال سابقة في أعمال شركات كبرى.

دعك من مارك زوكربيرغ، لكن كم كان عمر برايان أرمسترونغ الرئيس التنفيذي لشركة كوين بيز، عندما دخل نادي أثرياء العالم؟

لقد حققت شركة كوين بيز قيمة تجارية تبلغ نحو 100 مليار دولار في قائمة سوق الأوراق المالية.

قد لا يبدو عامل المال مهما هنا عند دراسة القطيعة الفكرية بين جيل زوكربيرغ وأرمسترونغ مع جيل مارغريت تاتشر وهلموت كول وهنري كيسنجر؟

ليس ذلك فحسب، نحن أمام طريقة التفكير السياسية التي ترفض التغير في العالم العربي، بينما تزداد الانقسامات بين الأجيال. ويمكن أن نعزو ذلك إلى رفض فهم الحكومات العربية الحاجة الإنسانية والمعرفية للجيل الجديد، في وقت يتفاقم لدينا عامل في غاية الخطورة عن الفكرة الاستهلاكية التي تدفع الأجيال المعاصرة إلى السطحية باعتبارهم مجرد متلقين وليس صناع أفكار ملهمة.

في المقابل يعجز ممثلو الجيل الأكبر سنا عن التعريف بأنفسهم بطريقة ملائمة للواقع المعاصر.

مع أن العديد من الباحثين يشككون في جدوى تقسيمات الأجيال، مشيرين إلى أن ذلك يكتفي بفكرة التقسيم نفسها ولا يوضح طبيعة الفروقات باستثناء سنة الميلاد. لكن هذا التشكيك لا يقلل من جاذبية علامات الأجيال في فهم التحديات التي طرأت على المجتمع سابقا من أجل الاستعداد للمستقبل.

لذلك تبدو لي المراجعة بمفهومها بالنسبة إلى الرواد عاملا حيويا لمساعدة الجيل الجديد على القبول المبكر بمبدأ يساعد على الاستقرار السياسي والثقافي للمجتمعات ويحافظ على تنوعها.

ماذا لو فاز نجل القذافي برئاسة ليبيا؟

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

لا أحد يستطيع التكهن بما سيكون عليه الوضع في ليبيا خلال الأيام القليلة القادمة، ولاسيما بعد تقديم سيف الإسلام القذافي لملف ترشحه للانتخابات الرئاسية، فأمراء الحرب وقادة الميليشيات وناشطو الإخوان ومن يصفون أنفسهم بثوار السابع عشر من فبراير أعلنوا أنهم سيقطعون الطريق أمام الانتخابات، وسيغلقون مكاتب الاقتراع، وسيمنعون الناخبين من التصويت في موعد الاستحقاق، ومنهم من دعا إلى محاصرة مقر مفوضية الانتخابات في سيدي المصري، وإلى اعتقال رئيسها عماد السايح، وكل ذلك لأن المتحكمين في العاصمة ومدن غرب البلاد من قوى أيديولوجية وجماعات مسلحة وسلطات نافذة يرفضون ترشح سيف الإسلام القذافي وخليفة حفتر للانتخابات الرئاسية، فما بالك إذا تعلق الأمر بفوز أحدهما بها!

سيكون على المجتمع الدولي وواجهته الأممية أن يتأملا مجريات الأحداث حاليا بعد أن تجاهلا أن مشكلة ليبيا الحقيقية أمنية وليست سياسية، وهي تتمثل بالأساس في الميليشيات المسلحة التي سيطرت على مراكز القرار السيادي والحكومي والاقتصادي في طرابلس منذ العام 2011. لقد أدى تفكيك الدولة إلى فراغ أمني وعسكري تم استغلاله من قبل جماعات مسلحة لا تزال تبسط نفوذها إلى حد الآن، وتعتبر نفسها الحاكم الفعلي في البلاد، وهي غير مستعدة للتفريط في مصالحها التي تتناقض حتما مع مصالح الدولة في قيمتها وسيادتها ورمزيتها ونفوذها على مقدراتها واحتكارها للسلاح.

تلك الميليشيات والجماعات والتيارات المرتبطة بها لا تريد للدولة أن تقوم أو تُقام، إلا وفق شروطها. ولن تسمح بخروج البلاد من النفق الذي تم الدفع بها إليه منذ العام 2011. وهي وإن كانت تزعم الدفاع عن "الدولة المدنية" في مواجهة "العسكرة"، فهي تسعى لترسيخ "الدولة الميليشياوية" تحت غطاء ديني لا يخلو من النزعة التكفيرية التي يتم اعتمادها في التجييش ضد الآخر المختلف سياسيا وعقائديا، رغم إدراك المجتمع الدولي أن تلك الميليشيات هي التي تمثل الخطر الحقيقي على المسار الديمقراطي، ولاسيما في ظل حالة انقسام واقعي للبلاد، وفي ظل حالة عداء حقيقي بين الفرقاء؛ حفتر مثلا مرشح لرئاسة الدولة الليبية بكامل مساحتها، لكنه لا يستطيع التحرك في إقليم الغرب الذي يدور حول العاصمة طرابلس، ولن يكون بإمكانه رفع لافتة أو ملصق بخصوص حملته الدعائية سواء في طرابلس أو مصراتة أو الزاوية أو زليتن أو الخمس أو زوارة أو غيرها. وسيف الإسلام مثلا مرشح لمنصب رئيس دولة ليبيا وهو ملاحق من القضاء ومطارد من الميليشيات ومكفّر من المفتي ومنبوذ من سياسيي فبراير، فماذا لو فاز بكرسي الرئاسة؟

ظهور سيف الإسلام القذافي في المقر الفرعي لمفوضية الانتخابات بسبها، حيث قدم أوراق ترشحه للانتخابات الرئاسية، مثّل مفاجأة مدويّة للداخل والخارج، فمجرد أن يتحرك الرجل وسط عاصمة إقليم فزان، وأن يدخل المقر ويجد الوقت الكافي لإتمام إجراءات التسجيل، ثم مغادرة المكان في هدوء، يؤكد أن تنسيقا تم مع قيادة الجيش الوطني الذي يبسط نفوذه على المدينة وعموما منطقة الجنوب، بل ويوحي بأن هناك توافقات جرت قبل ذلك بأسابيع، وكان من مخرجاتها تسجيل اسم سيف الإسلام في مكتب بسبها رغم أنه من مواليد طرابلس ومن سكان إقليمها إذا اعتبرناه لا يزال مقيما في الزنتان.

لن أسأل هنا هل أن سيف الإسلام انتقل من الزنتان إلى سبها مباشرة لتقديم ملف ترشحه؟ فالمسافة بين المدينتين مرورا بغريان تصل إلى حوالي 760 كيلومترا، ويحتاج عبورها إلى أكثر من ثماني ساعات من السير دون انقطاع، وهذا ما يعني أن الرجل ومرافقيه كانوا في إحدى مناطق الجنوب، والأرجح أنها غات، قبل دخول سبها، وأنه استطاع خلال الفترة الماضية أن يتنقل بين عدد من مدن وقرى فزان للقاء الأعيان والوجهاء والسكان المحليين، وكان كل ذلك بتأمين مباشر من الجيش.

مشكلة ليبيا ليست في ترشح سيف الإسلام ولكن في استمرار حكم الميليشيات التي تريد أن يكون الرئيس القادم جزءا من مشروعها ومتجاوبا مع مصالحها التي لا تريد التفريط فيها

ما شهدته مدن وقرى ليبية عدة من احتفالات بترشحه يؤكد مدى الشعبية الجارفة التي يحظى بها سيف الإسلام في كافة مناطق البلاد، وذلك لأسباب عدة منها أن النظام السابق كان بالأساس حالة ثقافية مرتبطة بتركيبة اجتماعية معقدة، وقد نجح في التحول إلى رمز لطبيعة مجتمع البادية الليبية بامتداداته القبلية داخل المدن، وبعناوين الثقافة البدوية وعاداتها وتقاليدها وسلوكياتها اليومية. من استغربوا تمسك سيف الإسلام بالزي التقليدي لوالده بعد عشر سنوات من رحيله عليهم أن ينتبهوا في ذلك إلى رسالة لأنصار الأب بأنه لا قطيعة مع الخصوصية الثقافية والاجتماعية وإن كانت هناك اختلافات في الرؤى والمشاريع السياسية والاقتصادية.

بالمقابل خرج مسلحون في بعض مناطق غرب ليبيا للتنديد بترشح سيف الإسلام والتعدي على مراكز انتخابية ورفع عبارات التهديد والوعيد للمفوضية ورئيسها، وتم الإعلان عن تحرك للميليشيات يوم السبت القادم، وربما هناك برامج أخرى تصب جميعها في إطار توجه عام لصانعي القرار بطرابلس وهو إجبار المجتمع الدولي بالقبول بتأجيل الانتخابات، أو بتغيير المادة 12 بغاية السماح لرئيس الحكومة عبدالحميد الدبيبة بالترشح للرئاسيات، فإذا فاز بها، فذلك هو المطلوب والمرغوب، وإذا ذهبت النتائج إلى سيف الإسلام أو حفتر، فعلى الجميع الاستعداد للحرب والانقسام من جديد، وهذا ما هدد به الإخوان ومسلحون وزعماء جهويون.

ويجد المجتمع الدولي نفسه أمام موقف صعب، فالديمقراطية الحقيقية تفرض عليه احترام إرادة الشعب الليبي، وتهيئة الظروف لتمكين من يختاره الشعب في صندوق الاقتراع من ممارسة مهمته، واتخاذ موقف حاسم ممن قد يعرقلون الانتخابات أو يرفضون الاعتراف بنتائجها، أو يريدون تسيير قطار الترشح والتصويت وفق خياراتهم ومصالحهم، أو يعملون على العودة بالبلاد إلى مربع الفوضى والاحتراب الأهلي.

وفي الأثناء هناك أطراف تحاول أن تفرض وصايتها على الموقف الشعبي العام ونوايا التصويت، وهي ترفض ترشح سيف الإسلام القذافي من منطلق معرفتها بما يحظى به من قاعدة شعبية واسعة قد تؤهله للفوز بمنصب الرئيس، وتعتمد في موقفها ذاك على قوة السلاح والمال. إذا كان للمشير حفتر جيش وللدبيبة ميليشيات، فإن نجل القذافي هو الوحيد من مثلث التنافس الفعلي على السلطة الذي لا يمتلك قوة مسلحة على الأرض.

الثابت والمؤكد أن أطرافا عدة في الداخل والخارج لا تريد لنجل القذافي الفوز برئاسة ليبيا أو التأثير في مشهدها السياسي القادم، ولكن الواقع على الأرض يشير إلى أن التوازنات الداخلية والإقليمية والدولية فرضت توافقات بالسماح له بالترشح، وهو ما حدث فعلا، وسيكون التحدي الأكبر كيف يتصدى المجتمع الدولي لمن يحاولون اتخاذ ترشح نجل القذافي مبررا لعرقلة الانتخابات؟ وماذا لو واصل السير نحو الرابع والعشرين من ديسمبر وفاز بالانتخابات فعلا؟ كيف سيكون رئيسا في عاصمة يسيطر عليها من يعتبرون شرعية وجودهم الوحيدة هي حربهم ضد نظام والده؟

إن مشكلة ليبيا ليست في ترشح سيف الإسلام، ولكن في استمرار حكم الميليشيات التي تريد أن يكون الرئيس القادم جزءا من مشروعها الفوضوي، ومنسجما مع نزعتها الجهوية والمناطقية، ومتجاوبا مع مصالحها التي لا تريد التفريط فيها، ومع مراكز نفوذها التي حققتها خلال السنوات العشر الماضية، وهي لا تعترف بالديمقراطية ولا بالتداول السلمي على السلطة، وإنما بسلطة الثورة التي لا يمكن أن تتحول إلى دولة والبنادق لا تزال على أكتاف المتمردين.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk